مقاربات دلالية في توجيه الاستعمال القرآني عند ابن جني(ت٣٩٢هـ)

أ.م.د .حيدر جبار دفتر جامعة القادسية/ كلّية التربية

haedar.dafter@qu.edu.iq

ملخص البحث

لا شك في أنَّ الدراسات الدلالية القرآنية صورها ومظاهرها كثيرة ، لاسيما في المدونات التفسيرية قديمها وحديثها ، ولا تخلو المدونات اللغوية من ذلك ، ولكنها بحاجة إلى من يثورها ، ويبحث فيما استغق – من حيث الظاهر – من مصاديقها ، هذا البحث يمثل مقاربات دلالية في توجيه الاستعمال القرآني لما يحمله النص الكريم من خاصة دلالية ورؤى إعجازية عند عالم من علماء القرن الرابع الهجري ، وهو ابن جني فيما عنَّ لنا في بعض مؤلفاته ، ولاسيما كتابيه الخصائص والمحتَسب ، الذي بذل فيهما قصارى جهده دفاعًا عن لغة القرآن والعربية ، وقد سلط الضوء فيهما على الدلالة القرآنية بأنواعها ، وبلحاظ سياقاتها المختلفة ، لينتهي بنا المقام إلى مقاربة هذه الرؤى وإظهار ما لهذا الاستعمال من تفرد يدفع باتجاه قدسيته وتميزه ، وكذلك يظهر لنا جهد عالم مختلف لما يمتلك من أدوات وقدرة على توظيفها والخروج بنتائج مختلفة.

Abstract

there is no doubt that semantic studies of the Qur'an take on many forms and manifestations, especially within exegetical literature—both classical and modern. Linguistic sources are not devoid of such studies either, yet they are in need of someone to excavate them and to explore what appears—on the surface—to be unexplored aspects of their applications.

This research represents semantic approaches to the Qur'anic usage, reflecting the unique semantic nature and miraculous insights contained in the Noble Text, as understood by a scholar of the 4th century AH: Ibn Jinni, as revealed in some of his works, particularly *Al-Khasa'is* and *Al-Muhtasab*.

In these works, he exerted his utmost effort in defense of the Arabic language and the Qur'an, shedding light on various types of Qur'anic semantics and considering their different contextual implications. Ultimately, this leads us to engage with these perspectives and to uncover the unique nature of Qur'anic usage—an aspect that points to its sanctity and distinctiveness.

It also reveals to us the effort of a remarkable scholar, distinguished by his tools and his ability to employ them effectively to arrive at unique conclusions.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة القرآن ، وزادنا بهدايته ، ومنَّ علينا بأوليائه وعلمائه ، الذين قدموا لنا بضاعة مزجاة ، وأفنوا أعمارهم خدمة لكتابه.

وبعد...

إنَّ الحديث عن ابن جني ، حديث ذو شجون ومقالة دونها خرط القتاد ، فهو العالم في لغة القرآن والماسك بحبال وصلها ، نحوها وصوتها وصرفها ودلالتها ، وقد وقف عند عتباته علماء كبار وباحثون أكْفاء من علماء العربية ، وحينما خطر في ذهني أن أطرق بابًا من أبواب الاستعمال القرآني عنده ، رأيت أن أبحث عن كوة وزاوية بعيدة عن أنظار الباحثين ، أو قل أدفع باتجاه ظاهرة لم تكن بيِّنة وواضحة لا في حقيقتها ، بل في مواضع توظيفها ، وبعد الاستقصاء والقراءة والتتبع ، وجدت (ابن جني) يمتلك محاولات تفسيرية قرآنية واضحة وجلية ورائدة ومؤسِّسة في مجال الدلالة القرآنية ، ولا سيما في كتبه (الخصائص، والمحتَسب ، والخاطريات) وبعد التتبع أيضاً وجدت بعض الباحثين قد راوده شعور في ذلك ، وحاول أن يقدم شيئاً فيه ، ولكنه جهد يعدُّ بمثابة مقدمة أو استقصاء ومحاولة في جمع بعض آرائه وتبويبها وتوزيعها على السور القرآنية ، والحق أنَّ للعلماء موقفاً من القراءات التفسيرية بشكل خاص ، والقراءات الشاذة عامة وملامح الدلالة القرآنية أيضاً ، وابن جني يعدُّ رائدًا من رواد المعنى ، ويرى ما لا يراه غيره في دقة الاستعمال ، وهو محقق ومدقق في ذلك ، وبعيد عن النظر اللغوي المعياري ، لذا توسمت خيراً فيما أقدمت عليه ، فهو يبحث عن الدليل اللفظي من أجل أن يوفر فسحة دلالية ، ويقدم محاولة تفسيرية تصنف هي الأولى في محلِّها ، ولا شك في أنَّ ذلك يحدث في ضوء تحولات المعنى وتبدلاته وبمعونة آفاق السياق ، وهي محاولة قائمة على مقاربات تفسيرية دلالية لسانية في فهم الاستعمال القرآني ، رسمت لها خطة قائمة على تمهيد أتقصى فيه ذلك المنهج الذي

سعى بوساطته ابن جني أن يقارب الدلالة القرآنية بوصفها لغة عليا يتطلع لها كل محلل دلالي ، ومتشوق لغوي ، ثم رأيت أن أقف عند المعنى الموسع الذي يوشك أن يلحظ بأدواته ما للاستعمال القرآني من آثار في بنية الحدث اللغوي ومظاهره القرآنية ، فجاء المبحث الأول ليلامس موجهات المعنى ، ويشير إلى فرادة استعمالها وتوظيفها ، وهو من مظاهر الإعجاز مع فيض دلالي معلى ، أما المبحث الثاني فقد جاء ليتحدث عن مظاهر الاستعمال القرآني وتعدد الدلالة بلحاظ القراءات القرآنية الشاذة ، وهو مبحث ينبئ عن أصل ومظاهر متعددة ، أي أنَّه يتحدث عن منطقة الفهم القرآني الدقيق وأدواته معززاً بمظاهر الرقي الدِّلالي وتعدد الاستعمال .

ويدعو الباحث أن تكون نتائج بحثه بقيمة مقدماته ، فنحن نبحث عن المعاني ونخلد إليها ، وأرجو أن تسامحونا في التعبير عنها إن قصر ذلك ، في محاولة تمثل ضرباً من التحقق لتظهر مساحات إقرائية ودلالية يمكن التأسيس لها وعليها

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

التمهيد

ابن جني[١] والدلالة القرآنية (قراءة في المنهج)

البحث الدلالي يحتل ذروة التأصيل الفني ، التي تجعل الدال علامة يرمز لها بالأشكال ، والمدلول أمارة يؤكد عليها بالمعاني ، والعلاقة بينهما نتيجة محورية تتمخض عن التقائهما.

وابن جني هو رائد علم الدلالة ومؤسِّسها ، وهو من العلماء الذين أيَّدوا آراءهم بالقرآن الكريم ، فكان أثبت ما يكون عنده تمثُّلاً وتمثيلاً " وقد تمثلت شواهده القرآنية (٩٢٠) موضعاً"[٢] ويكثر ذلك في كتابه المحتسب، فقد وضعه لتفسير القراءات على وفق اللغة ، وكتاب الخاطريات وهو كتاب عبارة عن مسائل يذكرها ويجيب عنها على سمت ما فعله أبو علي الفارسي في كتبه وسار على ذلك أيضا في كتابه الخصائص[٣]، ولذلك قيل كان المحتسب كما كانت (الحجة) معرضاً حافلاً يزخر بكثير من الشواهد القرآنية ، وعلى شمول الإحاطة ودقة الملاحظة وصحة الاستنباط[٤]، فقد مارس اللغة ممارسة الرائض الحاذق لها فهو يرسم صوره لطيفة من العناق بين التفسير واللغة، قال الأصمعي:" تزندق هؤلاء القوم لجهلهم باللغة العربية، ولو كانوا مطلعين على خفايا اللغة لفهموا حقيقة القرآن والحديث ولما اعتراهم الشك في الدين"[٥]

وقيل في منهجه إنَّه من المفسرين بالرأي ، مع تناوله للتفسير بالمأثور في آيات قليلة [٦]غير أنَّه لم يرد اسمه في كتب الطبقات لدى المفسرين وهذا ما دعاني إلى استقصاء جهوده التفسيرية، بنحو يختلف عمَّن تقدمني لدراسته.

كان ابن جني كثيراً ما يعتني بالقراءة التي تؤسِّس للانتقال والانفتاح الدلالي، فيوسع على نفسه في الاحتجاج لها بالرجوع إلى إظهار الأصول اللغوية لها وفي كثير من الأحيان يساوي بين القراءة البيانية أو التفسيرية والاستعمال القرآني، مقرونا بالمعنى فينتهي إلى جعلها بمعنى واحد، ولا يخفى ما للسياق من أثر قد روعي لديه في ذلك.

وترى ابن جني في سرِّ الصناعة في حرف الواو ينكر على الشافعية ما يرونه من الترتيب في غسل أعضاء الوضوء، ويعتمد في هذا على أنَّ الواو لا تفيد الترتيب، وقد عطف غسل هذه الاعضاء بالواو في الكتاب، وتراه يحتفل للرد ويفيض فيه أيَّما إفاضة .

ومنهج المحتسب كمنهج الحجة ، لا يكاد يخالفه إلا بمقدار طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة والقراءة الشاذة، "فأبو الفتح يعرض القراءة ويذكر من قرأ بها ثم يرجع في أمرها إلى اللغة" [٧]، زد على ذلك ربَّما وقع في نفسك من كثرة ما عدد من خصائصها واستخرج من لطائفها _أي القراءة _أنَّه يؤثرها ويحكم لها على قراءه الجماعة، كما في الاحتجاج لقراءة الحسن:(اهدنا صراطاً مستقيما) ، ومعنى هذا أنَّ القرآء يقرؤون انطلاقاً وتبادراً من تداخل الدلالات وتوظيف المعنى بلحاظات مختلفة، وبحسب أفق القارئ وتطلعاته، وبما ينسجم مع الظروف السياقية لهذه القراءة أو تلك مع إمكان أن يتخطى هذا الفهم وهذه القراءة إلى منطقة الفهم القرآني وأدواتها، لتصبح القراءة التفسيرية قراءة واعية وواعدة وواحدة من بين هذه الأدوات التي يبحث عنها المفسر من أجل الوصول إلى المعنى، لذا نرى ابن جني يقول:" لكن غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنَّه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه ؛ لئلا يرى مرى أنَّ العدول عنه إنَّما هو غض منه أو تهمه له"[٨]

ومع أنَّ المحتسب هو كتاب في تفسير شواذ القراءات فهو لا يخلو أبداً من القراءة المشهورة برواية حفص عن عاصم، فابن جني كان يورد قراءة حفص بعد حديثه وعرضه للقراءات الشاذة موازناً ومقارباً بينها ، وربَّما مرجحاً لأحدهما ، مثال ذلك في قوله تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} المائدة ٣٠ إذ نقل ابن جني قراءة الحسن بن عمران وهي: (فطاوعت له نفسه)، وعلق عليها قائلاً:" ينبغي والله أعلم أنَّ يكون هذا على أنَّ قتل أخيه جذبه

إلى نفسه ودعاه إلى ذلك فأجابته نفسه وطاوعته وقراءة العامة:(فطوَّعت له) أي حسَّنته له وسهلته عليه"[٩] ، وهذا يدعو إلى القول: أنَّ ابن جني كان يؤمن بمكانة المتكلم، وما يحمله من احتمالات لغوية، وقد دفعته القراءات الشاذة الى ما يمكن أن يكون ميداناً حيوياً وتطبيقياً لكثير من النتاجات الفكرية والعقدية، التي تدفع باتجاه حداثة فكرية، ورؤى تفسيرية تعتمد الجانب اللغوي والتحليل في الوصول إلى الدلالة الخاصة والعامة، لذا وجدناه يقول عن القراءات الشاذة، " فسماه أهل زماننا شاذاً، أي خارجاً عن قراءة السبعة المقدم ذكرها إلا أنَّه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قُرآئه " [١٠]

لقد كان ابن جني يردُّ ويضعف طائفة من القراءات السبع غير أنَّه كان أسلم موقفاً من شيخه أبي علي الفارسي، كما يرى الدكتور فاضل السامرائي إذ يقول:" إلا أنَّنا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القران ليحيطوا به ولا ينأوا عن فهمه فإنَّ أبا علي (رحمه الله)عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء"[١١] ومع ذلك فابن جني جمع القراءات الشاذة، وجاهد في توجيهها وهو مع ذلك رذَّل فيه قراءات وضعف أخرى وذكر أنَّ بعضها لا يعرف في اللغة[١٢]

أريد القول إنَّ ابن جني على جلالة قدره قد وظف النص القرآني بحسب قراءة الجماعة، وبشواذ قراءاته، ونظر إلى المعنى ودلالاته المختلفة، مرجحاً ومناقشاً ومحاوراً، بحسب ما يدعو له سياق الاستعمال وما تدعمه القرائن والأحوال ، ولا قدسية لقراءة عنده على أخرى، وهذا ديدن كثير من النحاة واللغويين بدءا من سيبويه ومن تبعه من المدرسة البصرية والكوفية، ومن سار في ركبهم وعلى شاكلتهم، لقد سار ابن جني في مقارباته التفسيرية الدلالية على طريقة الأوائل، كأبي عبيده في مجاز القرآن وتابع الفراء والأخفش والزجاج في معانيهم فيما يخص الدلالة اللغوية، واختلف عنهم ونأى بلحاظ ما يتعلق بالدلالة السياقية لجملة من الآيات القرآنية، التي لحظ فيها اختلافاً يجانب الظاهر بلحاظ القرائن المختلفة، وتجلى ذلك بصورة بيِّنة في عرضه للقراءات القرآنية بأنواعها، أي لم يكن ابن جني متحمِّسا في مقارباته ، ولم يكن تابعاً، ولم يكن ناقلاً، بل كان مسؤولاً يستنطق النص ولا ينطقه، فإذا نطق بأكثر من دلالة وقف منها عند حدود الإخبار، ولم يرجِّح منها إلا ما كانت القرينة دافعة إليه ،وهو يتوخى في تناول الدلالة القرآنية منهجاً وصفياً نقدياً يحاول بوساطته الوقوف على وجوه الفهم والتأويل، وعلى مختلف المبررات اللغوية وغير اللغوية، وما ينبغي أن يشغلنا هنا هو معرفة كيفية تشكل هذه الآلية المنتجة للمعنى في القرآن الكريم عند علمائنا الأوائل،" فالمعنى له ساق في العالم اللغوي الواقعي المادي، وساقه

الأخرى مغروسة غرساً غامضاً تخمينياً في عالم الفكر والروح "[١٣]، ومن ثمَّ يأتي عمل المحلل الدلالي اللساني ليقرأ ذلك بوصفه إنتاجاً تفسيرياً داخلاً في عمق مرادات الخطاب القرآني ،معتمداً التلقي الذي يفتح الأبواب على احتمالات تنتقل من داخل النص إلى خارج الخطاب[١٤]

ونحن نعلم أنَّ النظر اللغوي عند ابن جني قائم على التفريق بين اللغة والكلام ، وهذا يعني أنّ تأليفه في القراءات الشاذة يعد مصداقا لهذا التفريق، فالقراءات تمثل الكلام في أحد أشكاله وضوابطه، وهذا يدفع بالاتجاه الآخر ،وعدم الحصر والاقتصار على الجانب المعياري اللغوي لذا يرى أحد الباحثين قائلا:" أحسب أنَّ ابن جني أراد أيضاً استكمال منظومته اللسانية المنفتحة على مستويات التعبير والأداء بعيداً عن أطر المعيار والضبط "[١٥]، فالرؤية الدلالية عند ابن جني كانت تدفعه إلى التمحيص والتدقيق، ومعرفة الدافع الرئيس من وراء هذه الرؤية القرآنية ،بلحاظ قراءة الجماعة، وما زاد عليها وعنها بلحاظ شواذ القراءات لذا كان يعبر ابن جني عن قراءات هؤلاء الشواذ قائلا :"إنَّ القوم كانوا يعتبرون المعاني ويخلدون إليها فإذا حصَّلوها وحصَّنوها سامحوا أنفسهم في العبارات عنها "[١٦]، وهذا على خلاف ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي الذي يرى أنَّ ابن جني كان ينسب القراءات إلى الجهل أو إلى السهو أو إلى القصور عن إدراك حقيقة الأمر، وعنده أنَّ موقف ابن جني منها موقف سائر النحاة من البصريين[١٧]، ويحمل ذلك على الاستقراء الناقص فموقف ابن جني واضح من القراءات كما أسلفنا قال ابن جني:" وذلك لأنَّ كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنَّما الغرض منه إبانة ما لطُفت صفتُه وأغربَت طريقتُه، وضرب ثان وهو هذا الذي نحن على سمته أعني ما شذَّ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة وهو المعتمد المعوَّل عليه المولى جهة الاشتغال به"[١٨] ، لأنَّ الأصل في القراءات توافقها بالمعنى[١٩]

المبحث الأول: موجهات المعنى القرآني وفائض الدلالة

يقول محمد عبد القادر عطا محقق كتاب المحتسب "وعبارة المحتسب مرسلة متدفقة فيها طلاوة بادية وعليها مسحة ملازمة من عذوبة الفن وأناقته، مبسوطة في غير حشو ولا فضول يشيع فيها الازدواج ،ويطول الفصل ، جزلة الألفاظ لا تخلو أحيانا من بعض الغريب الذي يحتاج في الكشف عن معناه الذي يقتضيه المقام إلى فضل تأوِّل وإمعان" [٢٠]

نحاول في هذا المبحث أن نستجلي غوامض ما يكتنف عبارة ابن جني ونظهر أدواته اللغوية والسياقية، التي تمثل موجهات للمعنى القرآني، وما يزيد عن ذلك من فائض دلالي، وكان

ابن جني كثيراً ما يعتني بالقراءة التي اعتمدت الانتقال المجالي ،فيوسع في الاحتجاج لها باعتماد بيان الأصول اللغوية ومن جهة أخرى كان في كثير من الأحيان ما يساوي بين القراءة التفسيرية والاستعمال القرآني بلحاظ المعنى، فيجعلهما بمعنى واحد ، الغاية من ذلك هو استشراف ما للاستعمال القرآني من قصدية محتملة لجميع أدوات المعنى، وهي قصدية عليا ينبغي أن تلحظ في هذا السياق أو ذاك ،ومن الموجهات التي سنقف عندها في هذا المبحث هي الموجهات اللغوية الدلالية والعقدية والأثرية على نحو الإيجاز ، واشتهر ابن جني بدراساته اللغوية المستفيضة حتى عرف عنه أنَّه لغوي أكثر منه نحوي، وإن تصفحت كتبه ولا سيما الخصائص وسرّ الصناعة وجدت دراساته في اللغة عميقة مستفيضة ، تنم عن سعة اطلاع ورسوخ قدم في هذا الباب يقول في الخصائص :" فان أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبَّلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصحَّحت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذَّ شيئا منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه"[٢١] وهذا نص جزل موفور المعنى سائغ الدلالة، يكتنز ويختزل مسألة من أمات المسائل التي اتفق عليها كبار العلماء وهي علاقة المعنى بالإعراب والعكس صحيح ،ونطق فيها صدقاً وقال عدلاً، فالمعنى أولا ولا شيء غير المعنى ،والكل تابع والمعنى متبوع عنده.

وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما قدمنا له من موجهات للمعنى القرآني بلحاظ مرجعيات ابن جني لغوية كانت أم غير ذلك على سمت لغة الأوائل في اختزالها وعمقها ودقتها من جهة ومرونتها وسعة فيضها وتقبلها للتأويل والانفتاح الدلالي من جهة أخرى، وقد قيل في تعريف النحو اصطلاحا "علم بالأحوال والأشكال التي بها تدل ألفاظ العرب على المعاني ويعني بالأحوال وضع الألفاظ بعضها مع بعض في تركيبها للدلالة على المعاني المركبة ويعني بالأشكال ،ما يعرض في أحد طرفي اللفظ أو وسطه وجملته من الآثار والتغييرات التي بها تدل ألفاظ العرب على المعاني" [٢٢] وهذا كلام دقيق في بيان علم النحو ووظيفته التي تدفع باتجاه المعالجة من أجل الوصول الى المعنى ، ويرى ابن جني أنَّه ينبغي أن يحمل ما ورد في اللغة على القرآن ،ولا يحمل ما ورد في القرآن على اللغة، فالقرآن متبوع وليس تابعاً، ونقل عنه في هذا المورد قولاً:" وينبغي للقرآن أن يُختار له ولا يُختار عليه" [٢٣] ، وهو "يتخير له ولا يتخير عليه" [٢٤] .

قال ابن جني في باب تجاذب المعاني والإعراب:" هذا موضع كان أبو علي رحمه الله يعتاده ويلمُّ كثيراً به، ويبعث على المراجعة له، وإلطاف النظر فيه ،وذلك أنَّك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعروة المعنى ، وارتحت لتصحيح الإعراب"[٢٥] ،ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}سورة الطارق: ٨ يقول ابن جني المعنى في الآية يحمل على أنَّه تعالى على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ "لفصلك بين الظرف الذي هو يوم تبلى وبين ما هو معلَّق به من المصدر، الذي هو الرجع ، والظرف من صلته والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز"[٢٦] ، ثم زاد على ذلك موجهاً "فاذا كان المعنى مقتضيا له والإعراب مانعاً منه احْتَلْت له بأن تضمر ناصباً يتناول الظرف ويكون المصدر الملفوظ به دالاً على ذلك الفعل ،حتى كأنَّه قال فيما بعد: يرجعه يوم تبلى السرائر ودلَّ (رجعه) على يرجعه دلالة المصدر على فعله "[٢٧] ، وقال في موضع آخر ولا يجوز أن تعلق (يوم)بقوله (لقادر) لئلا يصغر المعنى؛ لأنَّ الله تعالى قادر يوم تبلى السرائر وغيره.

في النص أعلاه اختصر ابن جني دلالة قرآنية يتنازع عليها المعنى والإعراب قوامها الفصل بين الصلة والموصول بأجنبي، وهذا أمر لا يجوز عند النحاة باتفاق ، وحتى لا يفسد المعنى وتبقى الدلالة القرآنية ظاهرة من حيث الصلة والمرجع، ومقبولة من حيث الإعراب قدر ابن جني مضمراً مأخوذًا من لفظ المصدر المذكور ولم يخرج عن هذه الدلالة في تفسير الآية وبيانها أحد من المفسرين القدماء والمحدثين ،وشذَّ من ذلك مكي بن أبي طالب القيسي فهو يرى أنَّ (يوم) في قوله تعالى : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ }(سورة الطارق/٩) ظرف والعامل فيه لقادر ولا يعمل فيه رجعه ؛لأنَّك كنت تفرق بين الصلة والموصول بخبر إنَّ هذا على قول من قال: رجعه بمعنى بعثه وإحيائه بعد موته[٢٨] وزاد العكبري أنَّ في قوله تعالى (يوم تبلى السرائر) أوجه: أحدها: يحمل على التبيين؛ أي يرجع يوم تبلى [٢٩] ولئن اكتسب النحو قيمته من شدَّة اتصاله بالدلالة العامة فإنَّ اتصاله بالدلالة القرآنية أشدُّ وأوثق [٣٠] ، وما ذهب إليه ابن جني أوفق وآثر بالدلالة القرآنية (فيوم)ظرف متعلق برجعه ولا يصح تعليقه (بقادر)؛ لأنَّه تعالى قادر على رجعه في كل وقت من الأوقات ، ولا تختص قدرته بوقت دون وقت وهذا يعني إقرار المفسرين بمواضع تعدد وجوه الإعراب في القرآن الكريم وفي ذلك التعدد تفاوت بحسب مدى فعله في الدلالة القرآنية ، وبمقدار ما يوجد من قرائن دالة على ذلك ،لا بحسب توظيف حيل التقدير دون مسِّ المقاصد، وهذا الأخير يدفع باتجاه أنَّ العملية النحوية هي الى التمرين اللغوي واستعراض المواهب وتدعيم

القواعد أقرب ،وهذا غير متوافر فيما وجهه ابن جني في المراد من الدلالة القرآنية وهذا يكشف لك عن طاقة في التركيب كامنة وشحنة دلالية فيه ممكنة ما كنت لتراها لو لم يغص عليها ويجلوها ابن جني رحمه الله.

وفي قوله تعالى : {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} البقرة: ١٨٥ ذهب ابن جني إلى جواز حذف الحال في الآية الكريمة، والتقدير عنده "أي فمن شهده صحيحاً بالغاً ، فطريقه أنَّه لمَّا دلَّت الدلالة عليه من الإجماع والسنة جاز حذفه تخفيفاً وأما لو عرِّيت الحال من هذه القرينة، وتجرد الأمر دونها لما جاز حذف الحال على وجه "[٣١]، فحذف الحال عنده لا يحْسن ؛لأنَّ الغرض فيها عنده إنَّما هو توكيد الخبر بها وما طريقه طريق التوكيد غير لائق به الحذف[٣٢] ، وإنَّما جاز الحذف عنده في أعلاه لعلة الإجماع والسنة –كما ذكر– وقد جاز ذلك تخفيفاً ، وتبعه في ذلك الباقولي قائلا :"هذا باب ما جاء في التنزيل من إضمار الحال والصفة جميعاً، وهو شيء لطيف غريب" [٣٣]وزاد ابن جني على ذلك رأياً لأبي علي الفارسي دون أن يعلق عليه قائلا: " وكان أبو علي رحمه الله يرى أن نصب (الشهر) هنا إنَّما هو على الظرف ويذهب إلى أنَّ المفعول محذوف أي فمن شهد منكم المِصر في هذا الشهر فليصمه "[٣٤] "أي من شهد الشهر منكم صحيحاً بالغاً في مصر فليصمه... وكيف تصرفت الحال فلابد من حذف [٣٥]" وهذا ما ذهب إليه الباقولي في –كشف المشكلات وإيضاح المعضلات –معلقاً "ومعنى (فمن شهد منكم الشهر)أي فمن شهد منكم المصر في الشهر، فحذف المفعول وهو(المصر) وحذف(في) ؛لأنَّ انتصاب شهر على الظرف ، ولابدَّ من إضمار المصر في الآية ؛ لانَّ المسافر قد شهد الشهر ولم يلزمه الصوم ، فثبت أنَّ الإقامة بالمصر شرط لوجوب الصوم ، فلابد من إضمار المصر [٣٦]"وهذا ما دعا أكثر المفسرين إلى القول بعدم إعراب الشهر مفعولاً به ؛لانَّ ذلك يلزم منه صيام المسافر كما يلزم صيام الشاهد أي المقيم ؛لأنَّ كليهما يشهد الشهر[٣٧] ، فالشهادة هي الحضور، وشهادة الشهر إنَّما هي ببلوغه والعلم به ،وأما كون المراد بشهود الشهر رؤية هلاله، وكون الإنسان بالحضر مقابلاً السفر "فلا دليل عليه إلا من طريق الملازمة في بعض الأوقات بحسب القرائن ولا قرينة في الآية"[٣٨]، ولعل هذا العمل التحليلي الموازن بين آراء المفسرين يلامس خصائص الدلالة القرآنية، ويشير إلى فرادتها وتميزها ومظهر إعجازها وهو من الأهمية بمكان.

وفي نحو ما تقدم عالج ابن جني كثيراً من القضايا اللغوية وحاول أن يرفع عن لغة القرآن – صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة– ما يلصقه الطاعنون من تهم الإبهام والغموض على سمت ما فعل

ابن قتيبة، حينما اعتبر مظاهر الإشكال التركيبي وغيرها مظاهر مجازية، وحصرها إجمالاً في الأسباب الآتية "مضمر لغير مذكور، أو محذوف من الكلام متروك ،أو مزيد فيه يوضح معناه حذف الزيادة ، أو مقدم يوضح معناه التأخير، أو مؤخر معناه التقديم، أو مستعار أو مقلوب"[٣٩] وفي قوله تعالى: { فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} الصافات :، ٨٩ قال ابن جني إنَّ إبراهيم (عليه السلام) "لم يكن في الوقت سقيماً، ولكنَّ السقم للموت جار عليه لا محالة"،[٤٠] وفي سياق الآيات –بعد قوله تعالى أعلاه –لم تدل على أنَّ إبراهيم (عليه السلام)كان سقيماً، بل ربَّما تدل على عكس ذلك، بدلالة قوله تعالى: { فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}الصافات: ٩٣، ففي الآية دلالة على الصحة والقوة، قال الفراء في قوله سقيم : "يقال إنَّها كلمة فيها معراض أي أنَّه كل من كان في عنقه الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر، وهو وجه حسن"[٤١] ،ونقل عن أبي بن كعب في قوله تعالى: { قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} الكهف: ٧٣ ، قال: لم ينس ولكنها من معاريض الكلام[٤٢] ولم يزد الزجاج على ذلك سوى قوله: " أي سأسقم لا محالة"[٤٣] ومن أشرف على شيء جاز أن يقال إنَّه فيه[٤٤] وزاد الطوسي قائلا: " فأما من قال: إنَّه لم يكن سقيماً وإنَّما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم وأنه يجوز الكذب في المكيدة والتقية فقوله باطل؛ لأنَّ الكذب قبيح لا يحسن على وجه"[٤٥]، وأيد ذلك الزمخشري ، فهو يرى أنَّ الكذب حرام من الأنبياء إلا إذا عرِّض وورِّي ، والذي قاله إبراهيم (عليه السلام) معراض من الكلام ، ولقد نوى به أنَّ من في عنقه الموت سقيم[٤٦] وزاد العلامة الطباطبائي في ذلك قولاً: ولا دليل لنا قويًّا يدل على أنَّه عليه السلام لم يكن به في تلك الأيام سقم أصلاً، ولا يجوز عليه كذب ولا لغو من القول[٤٧] ، ثم زاد الطباطبائي أَنَّ أفضل الوجوه وأوجهها أنَّ نظرته في النجوم وإخباره بالسقم من (المعاريض)، والمعاريض أن يقول الرجل شيئاً يقصد به غيره ويفهم منه غير ما يقصد ،ويكون ذلك تورية منه، لكن هذا الوجه مبني على أنَّه كان صحيحاً غير سقيم يومئذ، وقد قلنا أن لا دليل يدل عليه ،والمعاريض غير جائزة على الأنبياء لارتفاع الوثوق بذلك عن قولهم[٤٨]

والوجه الذي عليه ابن جني هو حمل معنى اللفظ (السُّقم)على التورية ، وقد دفعه إلى ذلك سياق ظاهر الآيات اللاحقة وربَّما تأثر بقول الفراء المتقدم وبقول ابن قتيبة، الذي وافقه في ذلك أيَّما موافقة، فابن قتيبة يرى أنَّ المعنى "أي سأسقم فلا أقدر على الغدوِّ معكم ،هذا الذي أوهمهم بمعاريض الكلام ونيَّته أنَّه سقيم غداً لا محالة؛ لأنَّ من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء فسيسقم" [٤٩]وهو وجه من وجوه التفسير فيه دلالة ظاهرة بيِّنة على تتبع ودقة دلالية وتفسيرية

سار عليها جمع من كبار المفسرين مستوحاة من أدلة سياقية وبيانية رائدة في مجالها، ووجيهة عند من طعن ودفع بها أمثال الطوسي والطباطبائي، وهذا بحدِّ ذاته يعدُّ حسنة يمكن الاتكاء عليها والنظر إليها بإكبار.

وللجانب العقدي أثره البالغ في توجيه دلالة النصوص القرآنية ،ومن الثابت عند أهل الفن أنَّ ابن جني كان معتزلياً [٥٠]، وكان يؤمن بالقدم، والمنزلة بين المنزلتين، ونفي الصفات ،وبما قال به المتكلمون من أشياخه، قال السيوطي: إنَّ ابن جني كان معتزلياً كشيخه الفارسي[٥١] وزاد قائلا:" وكان هو وشيخه أبو علي الفارسي معتزليين [٥٢]، ولوَّح أهل التراجم إلى تشيعه أيضاً[٥٣] ولسنا بصدد إثبات ذلك أو نفيه بقدر ما نريد إثباته من أثر للجانب العقدي في توجيه دلالة النصوص بما ينسجم مع رؤيته، وقد عقد ابن جني باباً في الخصائص سمَّاه(باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية) تحدث فيه عن كثير من الآيات القرآنية التي لها صلة مباشرة بالعقيدة، ولا سيما جانب التوحيد، وهو فصل مهم وأصل من أصول التوحيد عنده ، قال فيه: " اعلم أنَّ هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب وإنَّ الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه من نهاية، وذلك أنَّ أكثر من ضلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها فإنَّما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة"[٥٤]، ثم قال:" وطريق ذلك أنَّ هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلَّ ما يخرج الشيء منها على الحقيقة"[٥٥] ومن ذلك قوله تعالى : {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} سورة يس :٧١، قال ابن جني:" إنَّ شئت قلت: لما كان العرف أن يكون أكثر الأعمال باليد جرى هذا مجراه وإن شئت قلت: الأيدي هنا جمع اليد التي هي القوة فكأنَّه قال: مما عملته قوانا ، أي القوى التي أعطيناها الأشياء ،لا أنَّ له سبحانه جسماً تحله القوى أو الضعف ونحوه قولهم في القسم: لعمر الله إنَّما هو وحياة الله ، أي: والحياة التي آتانيها الله لا أنَّ القديم سبحانه محلٌ للحياة كسائر الحيوانات"[٥٦] فذكر تعالى الأيدي على طريق توكيد إضافة العمل إليه وإنَّما تذكر اليد من حيث أنَّها أقوى آلات الأفعال[٥٧]، وزاد الراغب قائلا:" فعبارة عن تولّيه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عزَّ وجلَّ وخصَّ لفظ اليد ليتصور لنا المعنى ؛ إذ هو أجلُّ الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى، لا لتتصور منه تشبيها... معناه خلقته ومعه نعمتاي الدنيوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرى"[٥٨] فهو عمل عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا[٥٩] فعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملون بالأيدي ، وهذا ممَّا تولينا نحن إحداثه ،ولم يقدر على توليه غيرنا[٦٠] ، ولم يختلف مع ابن جني أحد من المفسرين واللغويين فيما تقدم في دلالة الأيدي وحملها على

المجاز، وفي قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} سوره طه: ٣٩ ، ذهب ابن جني إلى أنَّ المعنى أي تكون مكنوفاً برأفتي بك وكلاءتي لك؛ كما أنَّ من يشاهده الناظر له والكافل به أدنى إلى صلاح أموره وانتظام أحواله[٦١] ، وكذلك قوله تعالى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } سوره الزمر: ٦٧ ، قال ابن جني:" إنَّ شئت جعلت اليمين هنا الجارحة فيكون على ما ذهبنا إليه من المجاز والتشبيه أي حصلت السماوات تحت قدرته حصول ما تحيط اليد به في يمين القابض عليه ، وذكرت اليمين هنا دون الشمال ؛لأنَّها أقوى اليدين "[٦٢]، ثم زاد ابن جني موضحاً ذلك إن جعلت يمينه من قوله (مطويات بيمينه) هي الجارحة مجازاً وتشبيها كانت الباء هنا ظرفاً أي مطويات في يمينه وتحت يمينه، وإن جعلتها القوة لم تكن الباء ظرفاً، وإنَّما تكون حرفاً معناه الإلصاق والاستعانة به على التشبيه بما يستعان به[٦٣] وهذا ما دعا أحد الباحثين إلى القول:" إنَّ من أسباب التأويل ملاحظة الاعتبارات العقدية الدينية بغض النظر عن مدى وفاء النصّ بالشروط الأساسية لتركيب الجملة العربية: إعراباً وبناءً وتطابقاً وتركيباً"[٦٤] أي لابدَّ من مرجعية أخرى غير اللغة كأن يكون العقل كما هو الحال عند الشيعة والمعتزلة أو النقل كما هو الحال عند المحدِّثين ،والقران نفسه كما هو الحال عند الجميع على خلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين من حاكمية المرجعية اللغوية[٦٥]، أي أنَّ هناك علاقة جدلية بين المحتوى الدلالي القرآني المفترض وبين الظاهر اللغوي، فبعض النصوص جاء ظاهرها مجسِّما لله تعالى أو مجرداً الأنبياء من العصمة وهلم جرا ، وهذا الأمر لا ينحصر بابن جنّي فقد عمد جلُّ المفسرين واللغويين في توجيهاتهم النحوية والعقدية إلى ذلك متجاوزين في ذلك ظاهر اللغة من أجل الوصول الى المعنى المتوافق والمتصالح مع الفكر والعقيدة، وفي قوله تعالى: { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } سورة البقرة: ٧٤ ، قال ابن جني: فأجود القولين فيه أن يكون معناه وإنَّ منها لما يهبط مَنْ نظر إليه لخشية الله ، وذلك لأنَّ الإنسان إذا فكر في عظم هذه المخلوقات تضاءل وتخشَّع وهبطت نفسُه لعظم ما شاهد ، فنسب الفعل إلى تلك الحجارة لما كان السقوط والخشوع مسبَّباً عنها وحادثاً لأجل النظر إليها كقول الله سبحانه: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} سورة الانفال: ١٧ [٦٦]، وفي النصّ أعلاه يرى ابن جني خلافاً لكثير من المفسرين[٦٧] أنَّ الهبوط للنفوس وليس للحجارة، وهذا القول قال به شيوخه من المعتزلة أمثال أبي بكر الأصم الذي يقول:" والضمير في منها يرجع إلى الحجارة... وقيل يرجع إلى القلوب أي: ومن القلوب ما يهبط من خشية الله أي: تخشع وهي قلوب من آمن من أهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عند أبي مسلم"[٦٨] ومال الى هذا الرأي الجِبَّائي [٦٩]، فابن جني جعل نسبة الخشية إلى الحجارة مجازاً

وكأن خشية الجمادات عند المعتزلة من المستحيلات، فالمعتزلة في هذا الموطن نظروا الى عقولهم ولم ينظروا إلى سعة قدرة الله فضيقت عليهم ما كان واسعاً ومن مصاديق ذلك قوله تعالى: {قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} سورة فصلت: ٢١ ، وابن جني في هذا الموطن احتمل احتمالاً ودلالة راجحة بلحاظ ما توافر عنده من أدلة عقلية تدفع باتجاه أنَّ الخشية هي صفة ثابتة للقلوب لا للحجارة ، وحسبه ذلك وهذا الأمر قريب ممَّا قاله بعض الأصوليين في علاقة (كان) بالزمن في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } سورة النساء:١، إذ ذهب بعض المفسرين إلى القول: " لا يريد بكان تقييد الخبر بالمخبر عنه في الزمان الماضي المنقطع في حقه تعالى وإن كان موضوع كان ذلك بل المعنى: على الديمومة، فهو تعالى رقيب في الماضي وغيره علينا" [٧٠] وهذا عين ما أراده الأصوليون في قولهم : "من كون الزمن مدلول هيأة الجملة لا مدلول هيأة الصيغة مع عدم إلغاء ما للصيغة من قابلية على ذلك"[٧١] وبعبارة ثانية أنَّ الهيأة دال غير حتمي، بل هو قابلية تتفاعل مع السياق لتنتج ما ينسجم معه. ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ودربة الفكر لكان هذا الموضع ونحوه غير مأبوه له ، وكذلك قوله تعالى: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } سورة النساء :١٦٤ حمل ابن جني الكلام والتكليم في الآية المباركة على الحقيقة لا المجاز، مستشهداً بقول أبي الحسن الأخفش الذي قال:" الكلام خلق من الله على غير الكلام منك وبغير ما يكون منك، خلقه الله ثم أوصله إلى موسى[٧٢]" ، وزاد ابن جني أنَّ الكلام إذ أحدثه كان متكلما به فأمَّا أن يحدثه في شجرة أو فمٍ أو غيرها فهو شيء آخر لكن الكلام واقع. [٧٣] وهذا عين مقالة المعتزلة في كلام الله فإنَّهم اتفقوا أن كلامه محدثٌ مخلوقٌ في محلٍ بحروف وأصوات ،وكتب في المصاحف حكايات عنه، وما كان في محلّ فهو عرض يفنى في الحال. [٧٤] وذهب النحاس إلى القول بالحقيقة لا بالمجاز فإنَّ إعادة المصدر بقوله تكليماً ترفع القول بالمجاز وتهدَّمه قال النحاس:" وإذا قلت كلمته تكليماً لم يكن إلا من الكلام الذي يعرف"[٧٥] ونقل عن ابن قتيبة أنه قال:" إنَّ افعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار... فوكد المصدر معنى الكلام ونفى عنه المجاز "[٧٦].

ولا شكَّ في أنَّ أحد موجهات النص القرآني عند ابن جني –غير ما تقدم– هو استشهاده واستعانته بالحديث الشريف والرواية في بيان الدلالة القرآنية على خلاف ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي إذ قال:" أنا لم أجد في كتبه التي بين يدي ما يؤيد ذلك فلم أره مرة جعل حديثاً أصلاً يرجع إليه في تقرير قاعدة أو إثبات نصٍ لغوي وإنَّما يورد في النادر حديثاً للاستئناس به أو الاستشهاد فيما لم يخرم قاعدة ، ولم يقرر أصلا جديداً"[٧٧]، ولعل الدكتور السامرائي أراد من

ذلك أنَّ ابن جني في إيراده للحديث والرواية لم يجعلها قطباً وموردا يدلل من خلالها على قاعدة نحوية أو توجيه لدلالة قرآنية ظاهرة ، بل جاء بها في مورد الاستئناس ، ومع تنزلنا لذلك وقبوله وتحفظنا عليه فالاستقصاء يدفع به ويوجه ذلك وجهة أخرى ، وقد جاء ذلك على لسان الدكتور حسام النعيمي إذ أورد ما يدفع ذلك ويثبت لابن جني تشبثه وانعطافه نحو الرواية بما يعقد ملازمة بين أدواته اللغوية وجعله الرواية والحديث أحد مسوغاتها يقول الدكتور حسام النعيمي: " فأنا لم أجد له كلمة يفهم منها أنَّه لا يرى صحة الاستدلال بالحديث ، بل إنَّ في الخصائص ما يمكن أن يعدّ تصريحاً بالاستدلال بالحديث ، قال: (وعلى ذلك عامة ما جاء في القرآن وفي حديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومن بعده رضوان الله عليهم ، وما وردت به الأشعار ، وفصيح الكلام) وقد أورد في كتبه أحاديث أربى ما أحصيته منها على الثلاثين، وهو عدد يكفي في نظري للتدليل على أنَّه يجيز الاستدلال بالحديث"[٧٨] .

وتشكل موارد التفسير المادة الخام لوعي النصِّ القرآني وتفسيره ، التي يعوِّل عليها المفسر لكشف المراد من النصِّ ، وتلحظ بلحظات متعددة ، فإذا كانت موارده طريقاً موصلاً للكشف عن دلالة النص سميت مناهج ، وإذا كان البحث عن حجَّة تلك الموارد والمصادر سميت أصولاً ، ولا مانع من اجتماع المصدر والمنهج في شيء واحد ، فمثلا القرآن الكريم يعد مصدراً تفسيرياً بوصفه مادة أولية يعتمدها المفسر كما يعتمد الروايات واللغة، ويكون منهجاً بوصفه طريقاً موصلاً للتفسير، بلحاظ تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالقرآن هو أحد موارد التفسير بالمأثور التي عوَّل عليها كثيراً ابن جني في توجيهه لدلالة النصوص القرآنية ، بل المتتبع له يجد أنَّ لهذا المنهج صبغة طاغية ومواطن صدق يرتادها ابن جني بين الفينة والأخرى من حيث يدري ولا يدري قال الذهبي:" يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)" [٧٩] . وقد عمل به النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وكثير من الصحابة[٨٠] ، وقيل "ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض [٨١] " . وفي قوله تعالى: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } سورة النحل: ٩٨ يرى ابن جنّي أنَّ تأويله إذا أردت قراءة القرآن فاكتف بالمُسبَّب الذي هو القراءة من السبب الذي هو الإرادة ، وهذا أولى عنده من تأول من ذهب إلى أنَّه أراد فإذا استعذت فاقرأ ؛ لأنَّ فيه قلباً لا ضرورة بك إليه[٨٢] ثم زاد ابن جني قائلاً:" وعلى ما قدمناه قوله عزَّ اسمه: { إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } سورة المائدة:٦ أي إذا أردتم القيام لها والانتصاب فيها... وعليه قول الله تعالى: { فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} سورة البقرة:٦٠ ، أي فضرب فانفجرت ؛

فاكتفى بالمسبَّب الذي هو الانفجار من السبب الذي هو الضرب... ومثله قوله عزَّ وجلَّ: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ} سورة البقرة: ١٩٦، أي في حلقه فعليه فدية وكذلك قوله: { فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } سورة البقرة١٨٤، أي فافطر فعليه كذا"(٨٣)

نجد ابن جني في الآيات أعلاه يظهر دلالة الآيات بعضها بالبعض الآخر كما يستعين بها في دعم رأي له أراد أن يعززه ، فيستجمع له من المصاديق ما يشاء وهذا ما يدعوه أحياناً إلى أن يحلَّ إشكالاً ظاهرياً أو تناقضاً بدويًّا بين ظاهر بعض الآيات القرآنية، ولذا قيل:" ليس بين آيات القرآن وهي بضع آلاف آية ، آية واحدة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها بحيث يتحير الذهن في فهم معناها"(٨٤) ، وقال ابن جني في موضع آخر ويكفيك من هذا كلِّه قول الله عزَّ وجلَّ: { خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ }سورة الأنبياء: ٣٧ "وذلك لكثرة فعله إياه، واعتياده له ، وهذا أقوى معنى من أن يكون أراد: خُلِق العَجَلُ من الإنسان ؛لأنَّه أمر قد اطَّرد واتسع فحملُه على القلب يبعد في الصنعة، ويصغِّر المعنى ، وكأنَّ هذا الموضع لما خفي على بعضهم قال في تأويله: إنَّ العَجَل هنا الطين. ولعمري إنَّه في اللغة كما ذَكَر غير أنَّه في هذا الموضع لا يراد به إلا نفس العجلة والسرعة"(٨٥)، ثم استدل ابن جني على دلالة العجل القرآنية بمجموعة من الآيات القرآنية من آجل إثبات دلالة السرعة والعجلة واستبعاد معنى الطين الوارد في اللغة قائلاً:" ألا تراه عزَّ اسمه كيف قال عقبه { سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } فنظيره قوله تعالى:{ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا } سورة الإسراء: ١١ ، {وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا} سورة النساء: ٢٨؛ لأنَّ العجلة ضرب من الضعف لما تؤذن به من الضرورة والحاجة"(٨٦)، وهكذا نجده يأتي بكلِّ لفظ مشابه أو قريب فيعطيه ما يستحقه من البيان، وهذا من شأنه أن يخلق في ذهن القارئ نوعاً من المران والمراس يستطيع من خلاله أن يربط بين الآيات القرآنية المتشابهة في الألفاظ للوصول إلى دلالة قرآنية تمثل الأصل والوضع الذي لا يمكن استبعاده والركون إلى غيره بلحاظ السياقات المختلفة، وهو منهج استدلالي دلالي سار عليه جمع من الأوائل، قائم على الاستقصاء والاستقراء الكامل وقد سبقه إلى هذا المعنى أستاذه أبو علي الجّبائي، فالمعنى عنده خلق الإنسان عجولاً ،أي خلق على حبِّ العجلة في أمره(٨٧)، وتابعه في ذلك البلخي، فهو يرى أنَّ الله طبع الخلق على طلب سرعة الأشياء ولأجل ذلك قال فلا تستعجلون(٨٨)، وسبقهم إلى ذلك أبو بكر الأصم من المعتزلة(٨٩)، ونقل هذا المعنى عن ابن جني كل من الطوسي في التبيان والطبرسي في مجمع البيان(٩٠) ، قال ابن جني:" فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمُّها وملاءمة ذات بينها

هو خاص اللغة وسرِّها وطلاوتها الرائعة وجوهرها. فأمَّا حفظها ساذجة وقمشها محطوبة هِرجة فنعوذ بالله منه"[٩١]، والأمثلة التي أوردها ابن جني فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور كثيره لا تحصى، وقفنا على نماذج منها ولمن أراد الاستزادة يراجع على سبيل المثال[٩٢]، وأقول كما قال ابن جني:" وإنَّما تبسَّطت في هذا الحديث ليكون باعثاً على إرهاف الفكر، واستحضار الخاطر والتطاول الى ما أوفى نهْدُه وأوعر سَمْتُه، وبالله سبحانه الثقة"[٩٣].

المبحث الثاني/ مظاهر الاستعمال القرآني وتعدد الدلالة (القراءات القرآنية الشاذة أنموذجاً)

لا يخفى على القارئ اللبيب ما للقراءات القرآنية من أهمية في الدرس اللغوي، وما فيها من ظواهر صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، والحقيق في ذلك أنَّها كتب فيها الكثير من التأليفات عند القدماء والمحدثين ، وهذا المبحث على جزالته واختصاره يودُّ الباحث فيه أن يظهر جهد رجل عالم حصيف يشهد له كبار العلماء في التصنيف والتأليف ، ولا سيما في علم القراءات وهو ابن جني ، وقد اختار ابن جني من هذه القراءات رقعة وزاوية مظلمة ليسلط الضوء عليها هي الشواذ ، وهذه الشواذ لم توصف بالشذوذ لضعف روايتها ولا لأنَّها تحتوي ظواهر لهجية غير شائعة في اللغة الفصيحة ، وإنَّما سمِّي الشاذ شاذاً ؛ لأنَّه خارج عن سبعة ابن مجاهد[٩٤] "إلا أنَّه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالرواية من أمامه وورائه ولعلَّه أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه"[٩٥] ويشير الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أمر جوهري آخر هو "أنَّ قراءات القرآن على اختلافها لم يرد فيها ما يتصل بالظواهر اللهجية الهابطة... بل اشتملت على الظواهر الراقية، التي تتناسب وفصاحة اللسان العربي وقداسة القرآن"[٩٦] فتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة ، وقد يستبشع ظاهر الشاذ باديَ الرأي فيدفعه التأويل[٩٧] بل من الممكن القول بأنَّ القراءات الشاذة هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية وكأنَّ من وصفوها بالشذوذ قد وصموها من حيث أرادوا تمييزها عن القراءات المشهورة سنداً وقد تكون القراءة الشاذة في مستوى المشهورة من حيث الفصاحة، بل قد تكون أفصح منها ولكن هكذا شاء لها القدر أن تنزوي في مستوى الشذوذ[٩٨]، فهي خير ما يمثل حال اللغة الفصحى ولهجاتها القديمة بجميع ظواهرها الشائعة والمحدودة ، فليس من شاردة أو واردة في لهجات العرب إلا ولها في الشواذ شاهد أو أكثر.

وقد أشرت في التمهيد من هذه الدراسة إلى منهج ابن جني في التعاطي مع الدلالة القرآنية ولا سيما في تشبثه وتطلعه إلى المعنى بوساطة أدواته السياقية والحالية ، وخير عون ومصداق

لهذه الدلالات هو تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها في كتابه المحتَسب ، الغاية من ذلك هو إظهار ما لهذه القراءات من أثر في فهم الخطاب القرآني من جهة ، وبيان سعة ما تمثله التنوعات الإقرائية من توصيف دلالي أظهره وأنتجه الاستعمال القرآني من جهة أخرى بلحاظ أنَّ القوم كما يقول ابن جني يعتبرون المعاني ويخلدون إليها فإذا حصَّلوها وحصَّنوها سامحوا أنفسهم في العبارات عنها.

وسأحاول الاقتراب من بعض القراءات القرآنية التي أوردها ابن جني موازناً لها أحياناً بقراءة العامة منتصراً لها وداعياً إلى تدبرها أو مساو لها بلحاظ النظر اللغوي القرآني المعتمد على قرائن السياق والأحوال جاعلها ممثِّله وحاملة وتفسيرية لذات المعنى القرآني وأخرى يضعِّفها ويخرجها من منطقة الشذوذ الدلالي بلحاظ بنيتها الفكرية وأفقها الدلالي.

نقل لنا ابن جني قراءة أبي السَّمال في قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} سورة القمر: ٤٩ ، برفع(كل)مرجحاً لها على قراءة العامة، فالرفع عند ابن جني أقوى من النصب ؛ وذلك أنَّه من مواضع الابتداء، معززاً ذلك بقوله :"وهو مذهب صاحب الكتاب والجماعة وذلك لأنَّها جملة وقعت في الأصل خبراً عن مبتدأ في قولك نحن كل شيء خلقناه بقدر"[٩٩]، ثم ردَّ ابن جني قول محمد بن يزيد المبرد ، الذي يرى النصب في كل وتقدير ذلك عنده إنَّا فعلنا ، فالفعل منتظر بعد إنَّا ، فلما دلَّ ما قبله عليه حسن إضماره ، قال ابن جني:" وليس هذا شيئاً ؛ لأنَّ أصل خبر المبتدأ أن يكون اسماً لا فعلاً ، جزءاً منفرداً ، فما معنى توقع الفعل هنا، وخبر إنَّ وأخواتها كأخبار المبتدأ[١٠٠]،" ثم استدل ابن جني على ذلك بقوله تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} سورة الزمر:٦٠ ، فجملة (وجوههم مسودة) عنده في موضع المفعول الثاني لرأيت وهو في الأصل خبر المبتدأ[١٠١].

وهذا يدلُّ دلالة واضحة بيّنة على أنَّ ابن جني قد يفضِّل معنى القراءة الشاذة على قراءة العامة بأدلة لغوية وأخرى سياقية قرآنية فقد جاء بآية أخرى على شاكلة هذه الآية من حيث التركيب ، وهذا يدلك على أنَّ ابن جني قد وظَّف سياق النص الكلي الحامل للدلالة اللغوية والمؤيَّد لما ذهب إليه في تقوية أوترجيح الرفع في (كل) على النصب.

وحقيق بنا القول إنَّ جلَّ المفسرين والمعربين رجَّحوا قراءة النصب على الرفع حملاً لها على تقدير (إنَّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدر) أو أنَّها جاءت على سمت ما قال به النحاة (زيداً ضربته) أو محمولة على البدلية أي هو مقدَّر في اللوح المحفوظ[١٠٢]. ونقل ذلك الطبرسي عن

الجبائي [١٠٣].وزاد العكبري أنَه يقرأ بالرفع على الابتداء و(خلقناه)نعت لكل أو لشيء و(بقدر) خبره ،وإنَّما كان النصب أقوى لدلالته على عموم الخلق ، والرفع لا يدل على عمومه ، بل يفيد أنَّ كل شيء مخلوق فهو بقدر[١٠٤]. والذي أظهره العكبري واضح الدلالة بيّن المقصد ، فالفرق بين القراءتين هو الذي دفع ابن جني إلى التمسك بالرفع دون النصب ، ولا شك في أنَّ من وراء ترجيح قراءة الرفع لدى ابن جني أمراً جللاً سيتبين فيما بعد. وهذا المعنى قد أشار إليه بوضوح أحمد الاسكندري في حاشيته على الكشاف ، بعد أن نقل قول الزمخشري أنَّ (كل) منصوب بمضمر يفسره الظاهر ، فعلق أحمد على ذلك اختيار رفع (كل) هو قياس ما مهَّده النحاة ، ولكن لم يقرأ بها أحد من السبعة ؛ لأنَّ الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان[١٠٥]. ثم زاد قائلا:" واعلم أنَّه إنَّما عدل عن الرفع إجماعاً لسرٍ لطيف يعيَّن اختيار النصب: وهو أنَّه لو رفع لوقعت الجملة التي هي خلقناه صفة لشيء ، ورفع قوله (بقدر) خبراً عن كل شيء المقيَّد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير: إنَّا كل شيء مخلوق لنا بقدر ، فافهم ذلك أنَّ مخلوقاً ما يضاف إلى غير الله تعالى ليس بقدر ، وعلى النصب يصير الكلام: إنَّا خلقنا كل شيء بقدر فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى ...لا جرمَ أجمعوا على العدول عن الرفع إلى النصب"[١٠٦].

ولعل ما ذهب إليه ابن جني هو عين ما ذهب اليه أصحابه من المعتزلة ، فهم يرون أنَّ تقسيم المخلوقات إلى مخلوق لله ومخلوق لغير الله ، فيقولون هذا لله بزعمهم وهذا لنا ، وهذا ما دعا صاحب الانتصاف الى الانتصاف من الزمخشري قائلا:" ففغرت هذه الآية فاه وقام إجماع القرَّاء حجَّة عليه ، فأخذ يستروح إلى الشقاء ، وينقل قراءتها بالرفع ، فليراجع له ويعرض عليه إعراض القراء السبعة عن هذه الرواية ، مع أنهَّا الأولى في العربية... أيجوز في حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظاً ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا؟ وهو المخيَّر فيما يحكم به"[١٠٧] وهذا عين المعنى الذي أراده ابن جني تنزلاً بما يعتقد به مدافعاً عنه مخالفاً لجمهور العامة من القراء واللغويين مع أنَّ ظاهر الاستعمال القرآني يتعاطى مع حركية الواقع وتغيره إلا أنَّه في هذا الموضع لا يؤسِّس لانفتاح دلالي قائم على ظروف القارئ وعقيدته على الرغم من التوسع في الاحتجاج للقراءة وبيان الأصول النحوية لها.

ومن ذلك قوله تعالى: { عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ} سورة الأعراف : ١٥٦ إذ نقل لنا ابن جني في هذه الآية قراءة الحسن وعمرو الأسواري وهي: (أصيب به من أساء) ، وعلَّق عليها ابن جني بأنَّها أشد إفصاحا بالعدل من القراءة الفاشية التي هي (من أشاء) [١٠٨] معللا ذلك بأنَّ

العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له ، وهو الإساءة وأنَّ القراءة الفاشية لا يتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له ، وأنَّ ذلك لشيء يرجع إلى الإنسان[١٠٩] ثم زاد قائلا:" وظاهر قوله تعالى (من أشاء) بالشين معجمة ربَّما أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنَّه يعذب من يشاء من عباده أساء أو لم يسئ[١١٠]" ويبدو أنَّ هذه القراءة قد توسلت بالسياق القرآني والقرائن من أجل ما ذهبت إليه فقوله تعالى (عذابي أصيبوا به) قرينة ودالة سياقية حدت بابن جني إلى القول المتقدم ؛ لانَّ العذاب كما علل في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له وهو الإساءة على عكس قراءة العامة التي ظاهرها لا يدعو إلى علة إصابة العذاب وعلّق ذلك الأمر من حيث الظاهر بالإنسان بل زاد من ذلك دلالة احتمالية أخرى متعلقة بالعذاب لعباده من أساء منهم ومن لم يسئ.

وقد غاب عن ابن جني أنَّ الاستعمال القرآني ذو الدلالة الفاشية تعبيره أعلى دلالة على القدرة الإلهية التي تتماها مع عدله سبحانه وتعالى ، كما أنَّ القراءة ذات طابع وعظي ترهيبي ، وهي قراءة تفسيرية تعاطت مع ظاهر السياق وما يستوجب حمله من معنى بلحاظ أنَّ العذاب هو أحد مصاديق الإساءة ولكنَّها ضيَّقت واسعاً ، فالقراءة الفاشية ظاهرة بتعدد الاحتمالات قابلة لدفع العذابات غير مقصورة على بعض القرائن المستوحاة ويسميها القاضي عبد الجبار بشبهة التناقض في الرحمة[١١١] ويرى الطوسي أنَّ العذاب معلق بالمشيئة ؛ لأنَّه يجوز الغفران عقلاً بلا توبة وأنَّ عذابه يصيب به من يشاؤه ممَّن استحقه بعصيانه[١١٢]" في حين يرى الزمخشري في قوله تعالى (أصيب به من أشاء) أي من وجب عليَّ في الحكمة تعذيبه[١١٣]" وقوله (من وجب عليَّ في الحكمة تعذيبه) هي مقولة المعتزلة ، ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة[١١٤]" بمعنى لابدَّ من معاقبة المسيء[١١٥]"

وكان يحمل القراءة الشاذة على نظيراتها، ومن ذلك ما رواه المفضل عن الأعمش في قوله تعالى: {أَلَّا تُقْسِطُوا} سورة النساء:٣ ، بفتح التاء ، وقد أنكر ذلك ابن مجاهد ، وقال أبو الفتح:" هذا الذي أنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر ؛ وذلك على زيادة (لا) حتى كأنَّه قال: (وإن خفتم أن تَقْسطوا في اليتامى ، أي تجوروا. يقال قسط إذا جار وأقسط إذا عدل"[١١٦]" ثم أيَّد ابن جني ما ذهب إليه بسياق الآيات الأخرى التي تحمل الدلالة نفسها ، وهي قوله تعالى: { وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا } سورة الجن : ١٥ وزيادة لا قد شاعت عنهم واتسعت ، ومنه قوله تعالى : {لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ } سورة الحديد: ٢٩ ، وقوله : { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } سورة الأنعام: ١٠٩، في من ذهب إلى زيادة (لا) وقال :معناه وما يشعركم أنَّها إذا

جاءت يؤمنون[١١٧] ونقل ذلك الزمخشري والعكبري[١١٨] ، ويرى أبو حيان الأندلسي القراءة بالفتح بمعنى جَارَ ثم عرَّج على رأي الزجاج القائل: ويقال قسط بمعنى أقسط ، أي : عدل فإن حملت هذه القراءة على مشهور اللغة ، كانت (لا) زائدة أي: وإن خفتم أن تقسطوا أي: أن تجوروا ؛ لأنَّ المعنى لا يتم إلا باعتقاد زيادتها[١١٩]

وفي قراءة (وفَصْلُهُ في عامين) في قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} سورة لقمان: ١٤ لأبي الفتح تعليقة دلالية لطيفة يفرق فيها بين الفصْل والفِصال فهو يرى أنَّ الفصل أعم من الفصال ؛ لأنَّه مستعمل في الرضاع وغيره ، ولكنَّ الفصال عنده في الآية أوقع ؛ لأنَّه موضع يختص بالرضاع[١٢٠] ، والفصل هو إبانة أحد الشيئين عن الآخر حتى يكون بينهما فُرجة[١٢١] ، وهي كلمة صحيحة تدلُّ على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه ، والفصيل ولد الناقة إذا افتُصل عن أمِّه[١٢٢] ، وفصلت المرأة رضيعها فصلاً ، اي قطعته والاسم الفِصال بالكسر[١٢٣] فالأصل الواحد في المادة هو ما يقابل الوصل أي القطع أو التفريق ، وهو في قبال الجمع والنظر في الفصل إلى رفع الوصل ، وهو أعمُّ من أن يكون في أمر مادي أو معنوي[١٢٤] وربَّما أراد ابن جني من قوله في فصاله (أنَّه موضع يختص بالرضاع)أنَّ في الفصال تمام مدَّة احتياج الرضيع ، ولا يمكن لها التحقق في القراءة (وفَصْلُهُ) ، فالعموم في القراءة نازع ومتَّسع وشامل للرضاع وغيره ، أي أعم من ذلك كما عبَّر ، ويشعر بذلك الفرق بين الفصل والفصال ، وربَّما أريد من القراءة أن تنبه على دلالة الإبعاد فهي تفسيرية وموضحة للفصال المنسجمة مع سياق الآية الكريمة وأبعادها المعنوية والدلالية ، يزاد على ذلك أنَّ الاستقراء يدفع باتجاه ما ذهب إليه ابن جني لما في بناء (فِعَال) المزيد على (فَعِل) من تخصيص ، فالصيام أخصُّ من الصوم والقتال أخصُّ من القتل ، وهذا المعنى يغنينا عمَّا ذكر من معاني فعال التي ذهب إليها علماء اللغة من امتناع وقرب وكلها فيها دلالة التخصيص[١٢٥].

وفي قراءة (رياشاً) في (ريشاً) في قوله تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا } سورة الأعراف: ٢٦ ، يرى ابن جني أنَّ الرياش ما كان من لباس او حشو من فراش أو دثار ، أمَّا الريش فهو المتاع والأموال ، وربَّما يكون الريش في الثياب دون المال في قولك: هو حسن الريش أي الثياب ، وهما متداخلان[١٢٦] والحق أنَّ الريش للطائر واستعير للأثاث ولثياب الإنسان[١٢٧] وأنَّ الأصل الواحد في هذه المادة ما يُترقَّى ويُستعلى به سواء أكان مادياً أو معنوياً[١٢٨] فالريش والرياش الخصب والمعاش والمال والأثاث واللباس[١٢٩] وفي سياق

الآية الكريمة يدل الريش على الجمال ولباس التجمل[١٣٠] أما القراءة على رأي ابن جني فهي تقطع بطبيعة الحال صلة الرِّياش الدلالية بالمال في ظاهرها على الرغم من قوله بتداخلهما في المعنى.

وفي قوله تعالى: { وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا } سورة يوسف :٣٦ نقل ابن جني قراءة ابن مسعود وهي(وإنّي أراني أعصر عنباً) ، وقال أبو الفتح هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة أي قراءة المصحف ، وذلك أنَّ المعصور حينئذ هو العنب ، وسمَّاه خمراً لِما يصير إليه من بعدُ حكاية لحاله المستأنفة[١٣١] والخمر عصير العنب إذا كان فيه الشدَّة ، والتقدير أعصر العنب للخمر ، وهي لغة وقيل عنب الخمر[١٣٢] أي العنب الذي يكون عصيره خمراً ، فحذف المضاف والعرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه إذا وضح المعنى ولم يلتبس[١٣٣] ونقل الطبرسي القراءة أعلاه بلغة مقاربة عن أبي عبد الله وأُبي وهي(إنَّي رأيتني أعصر عنباً) [١٣٤] ويبدو أنَّ العنب والخمر يتبادلان في كلام العرب ولهجاتهم ، وكل ما تقدم لم يخرج عمَّا ذهب إليه ابن جني فدلالة العنب والخمر متداخله آيله بعضها إلى بعض وهذه القراءة هي مفسرة لقراءة الجماعة وموضحة لها ، ولكن قراءة المصحف خمراً هي أقرب لدلالة الآية الكريمة بلحاظ ما ستؤول إليه الرؤيا ، فهذا الاختيار جاء ليحكي صدقية هذه الرؤيا وتحققها ، فانتقل بذهن المتلقي إلى ما ينتج عن العصر ، ولم يقف عند المعصور، فجعل الأمر حقيقة واقعة ، أمَّا قراءة (عنباً) فهي تدفع باتجاه البقاء في حدود الرؤيا المنامية ، من دون الانتقال إلى الواقع الخارجي الذي جاءت الرؤيا لتستشرفه ، وهي بذلك قد ضيَّقت واسعاً ، وجعلت المعنى محدداً[١٣٥] ونقل قراءة أخرى عن ابن عباس في قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ } سورة الأنعام : ١٠٠ وهي (وحَرَّفوا له) مكان (وخَرَقوا له) [١٣٦] وحرَّفوا عند ابن جني دلالة وشاهد على كذبهم مستدلاً على ذلك بسياق النصَّ الكلي للقران الكريم وبدلالة قوله تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} سورة النساء: ٤٦ وأصله من الانحراف أي الانعدال عن القصد ، وكلاهما من حَرْف الشيء؛ لأنَّه زائل عن المقابلة والمعادلة[١٣٧] وهذا المعنى أي الانحراف منطبق عنده على قراءة الجماعة أيضاً وخرقوا ومعنى الجميع كذبوا ، والخرق هو قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبّر ولا تفكّر ، وهو خرق بغير تقدير[١٣٨] ، وهذا ما ذهب إليه ابن فارس فجعل الخرق أصلاً واحداً بمعنى مَزْق الشيء وجَوْبُه [١٣٩]ولم يرتض ذلك العاملي ، فهو يرى أنَّ الخرق لا يشترط فيه أن يكون تخريباً وافساداً ، بل قد يكون إصلاحا عن تدبّر[١٤٠] وربَّما يكون التخريق بلحاظ ما ذهب اليه العاملي من دلالة الإصلاح

،ولكن ذلك بعيد عن سياق الآية ، وما يحمله اللفظ في الوضع من دلالة يبعد أن يكون لها مصادق تنطبق عليها. فدلالة الافتراء والفساد والخرق والاختلاف والاختراق كلها من مصاديق (خرقوا)كما يرى الفراء[١٤١] ولا وجود لدلالة الإصلاح في ذلك أبداً فخرق بمعنى جعل ، والجعل بمعنى الافتراء والكذب وصولاً إلى التخرص أي تخرصوا له كذباً[١٤٢] وأيَّد الزمخشري ما ذهب إليه ابن فارس ، وجوَّز أن يكون من خرَق الثوب إذا شقَّه أي اشتقوا له بنين وبنات ، ونقل لنا ما نقله ابن جني عن ابن عباس من قراءة (وحرَّفوا)وذهب إلى أنَّ معناها وزوروا له أولاداً ؛ لأنَّ المزور محرِّف مغير للحق الى الباطل[١٤٣] وهو بذلك لا يختلف عن ابن جني في توجيه دلالة حرَّفوا عن خرَقوا ، فكلاهما يحمل دلالة الكذب والتبديل والتغيير يقول الطبرسي – بعد نقله لقراءة وحرَّفوا– "وهذا شاهد بكذبهم أيضاً ، ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه[١٤٤] ولكن التعبير بـ (خَرَقوا) يعدُّ من أدق بلاغة التنزيل ، وهو بيان معنى الشيء بما يدل على تزييفه[١٤٥] وفي (خَرَقوا) خاصة دلالية تتمثل في اختصاصها بالدلالة على نسبة الأولاد له سبحانه ما يجعلها أكثر دلالة على الجرأة وعظيم الفرية ، وفيها دلالة أيضاً على استحقاق العذاب ، وهو ممَّا لا يستشعر في قراءة (حرَّفوا)التي تدور مع الكذب حيث دار[١٤٦]

نتائج البحث

١- يرى الباحث أنَّ للمقاربات الدلالية مصاديق متعددة فيما تركه لنا ابن جني من مدونات لسانية تداولية على رأسها كتاب الخصائص والمحتسب .

٢- أدرك الباحث أنَّ ابن جني وهو ينقل لنا مسألة لغوية نحوية كانت أم غير ذلك أنَّه قد تفحصها ودقق في مصاديقها ، وعرج على أصل وضعها ، ومن ثم حاول أنَّ يجد لها أصلاً في لغة العرب مقارباً له بلغة النص القرآني .

٣- موجهات المعنى عند أبي الفتح ، هي موجهات كثر اقتصر البحث منها على بعض الموجهات التي تعد بمثابة أمثلة لما جادت به قريحة ابن جني ، أمَّا الشواهد فكثيرة لا تحصى.

٤- للجانب العقدي أثر بيِّن وواضح ومؤثر على توجيه كثير من المسائل التي يحتمل ظاهرها أكثر من دلالة تفسيرية.

٥- لا شك في أنَّ ابن جني يمتلك خاصة لغوية بلحاظ مختلف ، وظفها بطريقة لسانية راعى فيها المدونة العربية التفسيرية ، التي كان لتفسير القرآن بالقرين عندها أثر واضح

وطريقة مثلى ، ومثل أعلى يلجأ إليه المفسر ابتداء ، وهي خطوة أولى تبناها السلف واتكأ عليها الخلف.

٦- كان ابن جني يمتلك أدوات اللغوي بكل مفاصلها ، نحوها وصرفها وصوتها ودلالتها ولهجاتها ترافقه في ذلك رؤية قرآنية ، ومنهج ومدونة مغلقة أحياناً ومنفتحة على التراث تارة أخرى ، وظفها جميعاً خدمة لكتاب الله تعالى ، فمنهجه وصفي تحليل استقرائي لا يترك شاردة ولا واردة إلا وقف عندها .

٧- وقف ابن جني من القراءات القرآنية موقفا مختلفا بلحاظ ما دونه ابن مجاهد من السبعة في القراءات ، فقد كان يرى في القراءات ما لا يراه غيره من ثراء وسعة بلحاظ موافقتها للعربية من جهة ، وسعة أفق قارئها من جهة أخرى ، يدفعه في كل ذلك إلى مقاربتها مع القراءة الفاشية أو العامة أو الجماعة –بحسب تعبيره عن قراءه حفص عن عاصم – محاولاً أن يجد في القراءات الشواذ وقراءة العامة ما يدفعه إلى القول: إنَّ في هذه القراءة ما يمكن الوقوف عنده من أجل ترصين المعنى أو موافقته أو مخالفته على نحو لا تخرج من سياق الاستعمال وتوظيف الدلالة القرآنية ، مؤسساً بذلك لرؤية تعطي للقراءات القرآنية بشكل عام والشاذ منها بشكل خاص أهمية بالغة تجعل من لغة القرآن لغة مهيمنة يمكن لها أن تستوعب ما جاء في اللغة على اختلاف لهجاتها ومعرَّبها ودخيلها.

٨- أريد القول: إنَّ اللغة التي كتب فيها ابن جني فيما عنَّ له وما دوَّنه وحفظه من تراث العربية ، هي حقيقة بالاهتمام بالغة أقصى مقاصد الكلام ، بيِّنة لمن راعى فيها سمت القرآن ، أخَّاذة لا هوان فيها ، ولولا ما تقدم من وصف هذه اللغة لتعاطيت معها تعاطيا آخر، ولكني وصفت مقالتي بالمقاربات الدلالية التي تحمل في طياتها كثير من الاحتمالات في توجيه دلالة نصٍ نحاول أن ندرك من سعة لطفه ما يحبو بنا مشارق قدسه ، وهي مقاربات تمثل جهد المقل قبال أربابها وصناعها ، وهي دعوة للتأمل وفتح الباب على لغة قرآنية امتلكها رجل قمين وقرم وسيد حصيف تعاطى معها على وجل وانتهى منها على رويَّة ومهل بما وهبته هذه اللغة الكريمة الشريفة على حدِّ تعبيره.

هوامش البحث

[١] كثيرة هي الدراسات التي تحدثت عن ابن جني وترجمت لحياته وشخصيته ومؤلفاته ، وهذا ما دعاني الى الإعراض عن ذلك خشية التكرار من جهة ، ومخالفة المنهج الذي سار عليه البحث العلمي من عدم الترجمة لعلم أشهر من نار على علم، وينظر على سبيل المثال الدراسات التي أفاضت في الحديث عنه: مقدمات تحقيق

الخصاص ، والمحتسب، وسر صناعة الإعراب، وابن جني النحوي: د. فاضل صالح السامرائي، والدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي وغيرها دراسات كثر .

[٢] الشاهد القرآني عند ابن جني: ١٩

[٣] ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جني: ٣٥

[٤] ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها: مقدمة التحقيق:٥

[٥] ينظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة : د. محمد الشيخ عليو محمد: ٥

[٦] ينظر: جهود ابن جني في التفسير وعلوم القرآن: محمد إبراهيم عبد الفتاح:٥

[٧] ينظر: مقدمة تحقيق المحتسب: ٦٧/١

[٨] ينظر: المحتسب: ١/ ٣٢-٣٣، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د.حسام النعيمي: ٤٢.

[٩] المحتسب:٢٠٩/١.

[١٠] نفسه:٣٢/١.

[١١] نفسه:٣/١.

[١٢] ينظر: ابن جني النحوي: ١٢٦-١٢٧.

[١٣] قضايا اللغة في كتب التفسير: الهادي الجطلاوي: ٢٠٠.

[١٤] ينظر: القراءات القرآنية التفسيرية في المحتسب لابن جني: د. محمد جعفر العارضي: ١٢.

[١٥] ينظر: القراءات القرآنية التفسيرية في المحتسب لابن جني: د. محمد جعفر العارضي: ١٩.

[١٦] المحتسب:٣٣٦/١..

[١٧] ينظر: ابن جني النحوي:١٢٩.

[١٨] المحتسب:٣٥/١.

[١٩] ينظر: الدر المصون : السمين الحلبي:٥٥٥/٣.

[٢٠] مقدمة التحقيق: ٦٨.

[٢١] الخصائص: ٢٨٣/١-٢٨٤ ، وينظر: أساليب الطلب عند النحويين: د.قيس الأوسي :٣٥-٣٨.

[٢٢] المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: الشاطبي :١٧/١-١٨ .

[٢٣] المحتسب: ٤١/١.

[٢٤] المحتسب: ٥٣/١.

[٢٥] الخصائص: ٢٥٥/٣.

[٢٦] الخصائص:٢٥٦/٣.

[٢٧] الخصائص:٢٥٦/٣.

[٢٨] ينظر : مشكل إعراب القرآن :٣٤٩/٢.

[٢٩] ينظر : التبيان في إعراب القرآن: ٤٥٩/٢.

[٣٠] ينظر : قضايا اللغة في كتب التفسير: ٢٩٩.

[٣١] الخصائص: ٣٧٨/٢-٣٧٩.

[٣٢] ينظر : نفسه: الجزء والصفحة.

[٣٣] إعراب القرآن: ٧٨٣/٣.

[٣٤] الخصائص: ٣٧٣/٢.
[٣٥] نفسه: الجزء والصفحة.
[٣٦] كشف المشكلات :٩٥.
[٣٧] ينظر :المخصص: ابن سيده: ٧٣/١٢، والكشاف: الزمخشري: ٣٨٣/١، ومجمع البيان: الطبرسي: ١١/٢، والتبيان: العكبري: ١٣١/١..
[٣٨] الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: ٢٤/٢-٢٥.
[٣٩] تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة: ١٠٢.
[٤٠] المنصف: ابن جني: ٣٠٥/١.
[٤١] معاني القرآن: ٢٧١/٢.
[٤٢] ينظر: نفسه: الجزء والصفحة.
[٤٣] معاني القرآن وإعرابه:٢٣٢/٤.
[٤٤] ينظر: التبيان: الطوسي: ٣٥٨/٨.
[٤٥] التبيان: الطوسي:٣٨٦/٨.
[٤٦] ينظر: الكشاف: ٤٧/٤.
[٤٧] الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: ١٤/١٧.
[٤٨] الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: ١٥٠/١٧.
[٤٩] تأويل مشكل القرآن:٣٣٦.
[٥٠] ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني:٤٩,
[٥١] ينظر: الأشباه والنظائر:٣٣٨/١.
[٥٢] المزهر في علوم اللغة وانواعها:١٠/١.
[٥٣] ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة:أغا بزرك الطهراني:١٦٣/٧، ومعجم الأدباء:ياقوت الحموي:١١٤/١٢.
[٥٤] الخصائص:٢٤٥/٣.
[٥٥] الخصائص:٢٤٧/٣.
[٥٦] المصدر نفسه:٢٤٩/٣.
[٥٧] ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن: القاضي عبد الجبار:٣٥٠.
[٥٨] مفردات الفاظ القرآن: الراغب:٨٩١، وينظر : الميزان: الطباطبائي:١٠٩/١٧..
[٥٩] ينظر: التبيان : الطوسي:٣٦٠/٨، ومتشابه القرآن والمختلف فيه: ابن شهر آشوب:٣١١/١..
[٦٠] ينظر: الكشاف: الزمخشري:٢٦/٤.
[٦١] ينظر:الخصائص:٢٤٩/٣.
[٦٢] الخصائص:٢٤٩/٣.
[٦٣] الخصائص:٢٥٠/٣.
[٦٤] تقويم الفكر النحوي: د. علي أبو المكارم:٢٤٢.
[٦٥] ينظر: نقد الخطاب الديني:د. نصر حامد أبو زيد:٨٠.
[٦٦] ينظر:الخصائص:٧٦/٢.

[٦٧] ينظر :معاني القرآن: الزجاج:١٤٢/١، والكشاف: الزمخشري:١٨٣/١،وروح المعاني: شهاب الدين الآلوسي:٢٩٧/١

[٦٨] تفسير أبي بكر الأصم:٤٢/١.

[٦٩] ينظر: تفسير أبي علي الجبائي:٧٥.

[٧٠] تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي:١٦٧/٣.

[٧١] البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين:٣٠٦.

[٧٢] معاني القرآن:٢٧٠/٢.

[٧٣] ينظر: الخصائص:٢١٧/٢.

[٧٤] ينظر: الملل والنحل : الشهرستاني: ٣٥، ومقالات الإسلاميين: الأشعري:٢٦٧/١.

[٧٥] معاني القرآن:١٢٠/١.

[٧٦] تأويل مشكل القرآن:٨٢.

[٧٧] ابن جني النحوي:١٣٣.

[٧٨] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٤٣..

[٧٩] التفسر والمفسرون:١١٢/١.

[٨٠] ينظر: مناهج تفسير القرآن:٧٥

[٨١] نهج البلاغة: الشريف الرضي:١٩٢خطبة:١٣٣.

[٨٢] ينظر: الخصائص:١٧٣/٣.

[٨٣] الخصائص:١٧٣/٣-١٧٤.

[٨٤] الخصائص:٢٠٣/٢-٢٠٤.

[٨٥] الخصائص:٢٠٣/٢-٢٠٤

[٨٦] الخصائص:٢٠٤/٢.

[٨٧] ينظر:تفسير أبي علي الجبائي:٣٨٢.

[٨٨] ينظر: تفسير أبي القاسم البلخي:٢٦٤.

[٨٩] ينظر:تفسير أبي بكر الأصم:١٩٥.

[٩٠] ينظر:التبيان:٢٣٣/٧،ومجمع البيان:٨٨/٧.

[٩١] الخصائص:٢٠٨/٢.

[٩٢] ينظر:الخصائص:٣/ ١٧٢، ٤٢٣/٣، ٤٦١/٣. والمحتسب:٣٤٣/١، ٢٨/٢

[٩٣] الخصائص:٢٠٨/١.

[٩٤] ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: د. عبد الصبور شاهين: ٩.

[٩٥] المحتسب:٣٢/١.

[٩٦] أثر القراءات في الأصوات:٩.

[٩٧] ينظر: البرهان في علوم القرآن :الزركشي:٣٤١/١.

[٩٨] ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:د. عبد الصبور شاهين:٨.

[٩٩] المحتسب:٣٣٦/١، وهذه المسألة جاءت في باب الاشتغال ، ورفع (كل) في الآية هو رأي البصريين ، وقال بها سيبويه ، إلا أنَّه قال في الآية إنَّ القراءة لا تخالف ؛لأنَّها سنة. ينظر: الكتاب: ٣١/١.

[١٠٠] المحتسب:٢/٣٠٠،وينظر: البحر المحيط :أبو حيان الاندلسي:٨/١٨١.

[١٠١] ينظر:المحتسب:٢/٣٠٠.

[١٠٢] ينظر: التبيان في تفسير القرآن:الطوسي:٩/٣٦٧، الكشاف: الزمخشري:٤/٤٣٠، ومجمع البيان: الطبرسي:٩/٢٣٣، والتبيان: العكبري:٢/٣٨٩.

[١٠٣] ينظر: مجمع البان:٩/٢٣٣.

[١٠٤] ينظر: التبيان:٢/٣٨٩.

[١٠٥] ينظر: الانتصاف حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري:٤/٤٠٠.

[١٠٦] ينظر: المصدر نفسه :٤/٤٣٠.

[١٠٧] ينظر: المصدر نفسه :٤/٤٣٠.

[١٠٨] ينظر: المحتسب: ١/٢٦١.

[١٠٩] ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[١١٠] ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[١١١] ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن: ١٨٦.

[١١٢] ينظر:التبيان:٤/٥١١.، ومجمع البان: الطبرسي:٤/٢٦٧،وروح المعاني: الآلوسي:٥/٧٢.

[١١٣] ينظر:الكشاف:٢/١٥٩.

[١١٤] ينظر: نفسه/ الصفحة نفسها

[١١٥] ينظر: التبيان: العكبري:١/٤٦٢.

[١١٦] المحتسب:١/١٨٠.

[١١٧] ينظر:المحتسب:١/١٨٠.

[١١٨] ينظر: الكشاف:١/٤٥٧، والتبيان: ١/٢٦٥.

[١١٩] ينظر: البحر المحيط: ٣/١٧٠.

[١٢٠] ينظر: المحتسب:٢/١٦٧.

[١٢١] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب:٦٣٨.

[١٢٢] ينظر: مقاييس اللغة: ٢٤٠.

[١٢٣] ينظر: المصباح المنير: الفيومي:٤٠.

[١٢٤] ينظر: التحقيق في كلمات القرآن:٩/١٠٤-١٠٥.

[١٢٥] ينظر: الكتاب:٤/٧، ومعاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي: ٢٨-٣٠.

[١٢٦] ينظر: المحتسب:١/٢٤٦.

[١٢٧] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:٣٧٢.

[١٢٨] ينظر: التحقيق في كلمات القرآن:٤/٣٠٨.

[١٢٩] ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصَّل لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد محمد حسن جبل:٢/٨٠٢.

[١٣٠] ينظر: تفسير أبي السعود:٢/٤٨٧.

[١٣١] ينظر: المحتسب:٦/٣٤٤.

[١٣٢] ينظر: التبيان: الطوسي:٦/١٢٥.

[١٣٣] ينظر: مجمع البيان:٥/٣٠٦،والميزان: الطباطبائي:١١/١٧٤.
[١٣٤] ينظر: مجمع البيان:٥/٣٠٦.
[١٣٥] ينظر: القراءات القرآنية التفسيرية عند ابن جني:د.محمد جعفر العارضي:٩٥.
[١٣٦] ينظر: المحتسب:١/٢٢٤.
[١٣٧] ينظر: نفسه: الصفحة نفسها .
[١٣٨] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:٢٨٠.
[١٣٩] ينظر: مقاييس اللغة:٢٩٣.
[١٤٠] ينظر: مفردات الراغب مع ملاحظات العاملي:٢٨١.
[١٤١] ينظر: معاني القرآن:١/٢٣٦.
[١٤٢] ينظر: التبيان: الطوسي:٤/٢٠٠-٢٠٣
[١٤٣] ينظر: الكشاف:٢/٥٠.
[١٤٤] ينظر: مجمع البيان:٤/٩٥.
[١٤٥] ينظر: تفسير المنار: ٧/٥٣٥.
[١٤٦] ينظر: القراءات القرآنية:د. محمد جعفر:٨٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن جني النحوي: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٩م.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي ، ط١، ١٩٨٧م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د.قيس إسماعيل الأوسي، جامعة بغداد، بيت الحكمة،١٩٨٨م
- الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تح:د.عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- إعراب القرآن، النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٥م.
- الانتصاف حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري، أحمد بن المنير الأسكندري،تحقيق:عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية،لبان،٢٠٠٩م.
- البحث النحوي عند الأصوليين، د. مصطفى جمال الدين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٩٨م.

❖ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م.
❖ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٨١م.
❖ التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، تحقيق: احمد حبيب نصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د. ت.
❖ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: احمد شوقي واحمد حبيب، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٩٥٧م.
❖ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تأليف المحقق المفسر العلامة المصطفوي، مركز آثار العلامة المصطفوي، القاهرة – لندن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.
❖ التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط٢، القاهرة، ١٣٩٦هـ
❖ تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد العمادي، وضع حواشيه، عبد اللطيف عبد الرحمن،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
❖ تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي، دراسة وتحقيق: الدكتور خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان،٢٠٠٧م.
❖ تفسير أبي بكر الأصم، دراسة وتحقيق: الدكتور خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان،٢٠٠٧م.
❖ تفسير أبي علي الجبائي ، دراسة وتحقيق: الدكتور خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان،٢٠٠٧م.
❖ تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، أثير الدين أبو عبد الله محمد يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل احمد عبد الموجود واحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
❖ التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند ابن جني، أحمد محسن خلف، رسالةماجستير،الجامعة المستنصرية ،٢٠١٤م.
❖ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، خرج آياته إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.
❖ تقويم الفكر النحوي: د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، ط١،٢٠٠٥م.

❖ تنزيه القرآن عن المطاعن: القاضي عبد الجبار،دراسة وتعليق الدكتور خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية،لبان،٢٠٠٨م.
❖ جهود ابن جني في التفسير وعلوم القرآن جمعا ودراسة: محمد إبراهيم عبد الفتاح، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير.
❖ الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٦٣م.
❖ الدر المصون : السمين الحلبي، تحقيق:الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،٢٠٠٨م.
❖ الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي ،منشورات وزارة الثقافة الإعلام،دار الرشيد للطباعة،١٩٨٠،(د.ت)
❖ .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.
❖ القراءات القرآنية التفسيرية في المحتسب لابن جني، مقاربات تداولية في فهم الخطاب القرآني: د. محمد جعفر العارضي ،تموز للطباعة والنشر،دمشق،٢٠٢٠م،ط١.
❖ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:د. عبد الصبور شاهين، دار القلم،(د.ت)
❖ قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج التأويل الإعجاز: الدكتور الهادي الجطلاوي، كلية الآداب ، سوسة، دار محمد علي الحمامي، ط١، ١٩٨٩م
❖ الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م.
❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.
❖ كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات: الباقولي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني،ط١، ٢٠١١، لبنان.
❖ متشابه القرآن والمختلف فيه: ابن شهر آشوب ،تحقيق وتعليق:حامد المؤمن،العارف للمطبوعات،بيروت،،ط١، ٢٠٠٨م.

❖ .مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٩٨٦م.
❖ . المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٤م.
❖ المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت. (د.ت).
❖ مشكل إعراب القرآن، القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) تح:ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ.
❖ المصباح المنير في غريب الشرح، الفيومي، احمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ)، نشر مؤسسة دار الهجرة، قم، د. ت.
❖ معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي، ط١، جامعة الكويت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م،
❖ معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيي بن زياد، تحقيق: احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح شلبي، دار السرور، ١٩٥٥م.
❖ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
❖ المعجم الاشتقاقي المؤصَّل للألفاظ القرآن الكريم – مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، د. محمّد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
❖ مفردات الراغب مع ملاحظات العاملي، دار المعروف للطباعة والنشر،(د.ت).
❖ مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ،ط٤،مطبعةكيميا،قم،إيران،١٤٢٥م.
❖ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:أبو الحسن الأشعري، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،١٩٩٠م.
❖ .مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين احمد بن فارس،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م.

❖ المنصف: ابن جني،شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، الناشر: دار إحياء التراث القديم،ط١، ١٩٥٤م.
❖ .الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.
❖ .نقد الخطاب الديني، د. نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٣
❖ .نهج البلاغة، وهو مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، شرح الأستاذ:محمد عبده، دار المعرفة، بيروت لبنان. (د.ت)